من ثنايا « كتاب الديارات » للشابشتي

يوم من أيام المتوكل (*)

للأستاذ صلاح الدين المنجد

... ذكر [عبيد الله بن احمد] بن خرداذبه[1] أن المتوكل[2] أنفق على الأبنية التي بناها وهي : بركوارا ، والشاة ، والعروس ، والبركة[3] ، والمختار ، والجوسق ، والجعفري[4] ، والبديع ، والصبيح ، والمليح ، والسندان ، والقصر ، والجامع ، والقلاية[1] ، والبرج[2] ، وقصر المتوكلية[3] ، والبهو ، واللؤلؤة ...[4] مائتي ألف ألف وأربعة وسبعين ألف ألف درهم[5] ومن العين ألف ألف دينار ؛ [فـ] تكون قيمة الورق[6] بصرف الوقت[7] مع ما[8] فيه من العين ثلاثة عشر ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار[9]

قال [المؤلف] : شرب المتوكل يوماً في بركوارا فقال لندمائه[10] : أرأيتم إن لم تكن أيام الورد لا نعمل نحن شاذ كلاه[11] ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين لا يكون الشاذ كلاه إلا بالورد ، فقال : بلى ، ادعوا إلى[12] عبيد الله بن يحيى[13] ،

(*) كتاب الديارات ص ٦٨

(١) فارسي الأصل ، بغدادي المسكن . اشتهر بالتاريخ وبالجغرافيا . وكان جده خرداذبه مجوسيا أسلم على يد البرامكة . واتصل عبيد الله بالمعتمد العباسي فولاه البريد والخبر بنواحي الجبل ، وجعله من ندمائه . له من التصانيف : « جمهرة أنساب الفرس » و « المسالك والممالك » و « اللهو والملاهي » وغيرها . توفي سنة ٢٨٠ هـ (الأعلام)

(٢) جعفر (المتوكل على الله) ابن محمد (المعتصم بالله) من الخلفاء العباسيين . ولد ببغداد سنة ٢٠٦ هـ وبويع بالخلافة بعد وفاة الواثق أخيه سنة ٢٣٢ هـ . وكان جواداً محباً للعمران — وستري مبلغ حبه له — أعرض عن السيرة التي استار بها المأمون والمعتصم في القول بخلق القرآن فأحبه الناس . نقل مقر الخلافة من بغداد إلى دمشق فأقام بها شهرين ، ثم عاد منها وأقام في سر من رأى ، واغتاله فيها غلام تركي اسمه (بانر) سنة ٢٤٧ هـ . (فوات الوفيات — زهر الآداب)

(٣) البركة لغة المكان الذي تبرك به المياه وتجتمع . وهذه بركة الجعفري ، وهي بركة ما رؤي أروع منها . وقد وصفها البحتري في قصيدة من أرق الشعر وأدقه وأولها :

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها ... والآنسات إذا لاحت مغانيها

وفيها يقول :

ما بال دجلة كالغديري تنافسها ... في الحسن طوراً وأطواراً تباهيها
تحاجب الشمس أحياناً يغازلها ... ويرمق الغيث أحياناً يباكيها
إذا النجوم تراءت في جوانبها ... ليلا حسبت سماء ركبت فيها
كأنما الفضة البيضاء سائلة ... من السبائك تجري في مجاريها

... وقد ذكرها بعض كتب الأدب فلتراجم ثمة

(٤) قصر عظيم بناه المتوكل قرب سامراء سنة ٢٤٥ هـ واستحدث عنده مدينة وانتقل إليها ، وأقطع القواد منها قطائع فصارت أكبر من سامراء . ثم شق إليها نهراً يسقيها . قالوا : إنه أنفق على القصر ألفي ألف دينار . ولما انتقل المتوكل إلى الجعفري انتقل أهل سر من رأى عنه وأضحت المدينة خلاء . وقد وصفها أبو علي البصري (ياقوت ٨٧ ج ٢) . وقد وصف البحتري الجعفري في قصيدة رنانة أولها :

قد تم حسن الجعفري ولم يكن ... ليتم إلا بالخليفة جعفر

(ياقوت)

(١) القلاية صومعة تبنى في جوار الديارات على شرف من الأرض تطل على ما حولها من البساتين والرياض والقدران . وكانت ترخرف ويتأنقون في صنعها ؛ يأتي إليها المتطربون والخلعاء ليرشفوا الخمر فيها (تاج العروس — الديارات النصرانية لحبيب الزيات) . قلت : ولعل المتوكل كان قد بنى قلاية لنفسه لتكون موطن شربه وأنسه

(٢) سيمر بك وصف بارع لهذا البرج بعد قليل

(٣) قصر من أعظم قصور المتوكل . وقد جعله ياقوت قصر الجعفري نفسه على أنهما مختلفان ، وقد وصفه البحتري في إحدى قصائده فقال :

أري المتوكلية قد أضاءت ... محاسنها وأكملت التماما .
قصور كالكواكب لامعات ... يكدن يضئن للساري الظلاما

(الديوان) .

(٤) هذه كلها أبنية بناها المتوكل ولم نستطع أن نعلم إلا صفة بعضها . على أن هذه الأبنية كانت مثار دهشة أهل ذاك الزمان وإعجابهم . ولعلي ابن الجهم قصيدة ينوه فيها بهذه الأبنية وأولها :

وما زلت أسمع أن للملوك ... تبنى على قدر أخطارها

(زهر الآداب)

(٥) ذكر ياقوت (ج ٢ ص ٨٨) أن كل خمسة وعشرين درهما كانت تساوي في زمن المتوكل ديناراً فانظر

(٦) الورق بفتح ثم كسر الدراهم المضروبة (القاموس) . وفي القرآن : « ابعثوا أحدكم بورقكم هذا »

(٧) بصرف الوقت تعبير جميل معناه باللغة العامية : « بسعر البورصة »

(٨) في الأصل مما وهو خطأ

(٩) أنت ترى هذا العدد من الدنانير الذي أنفقه المتوكل . وقد ذكر صاحب زهر الآداب أن ما أنفقه المتوكل على أبنيته وقصوره كان ثلاثة آلاف ألف (ج ١ ص ٢٣٠)

(١٠) في الأصل : لندمائه . ويلاحظ أن الناسخ قد أسقط كل همز

(١١) شاذ بالفارسية فرح وكلاه ما يوضع على الرأس ، ولعل معناها « فرح التاج » ، وكأنه مهرجان أو يوم عيد

(١٢) في الأصل : ادعوا لي

(١٣) هو عبيد الله بن يحيى بن خاقان ؛ كان ذا شأن في العصر العباسي ، استوزره المتوكل والمعتمد . وكان عاقلا حازماً (الأعلام)

فحضر ، فقال [له المتوكل] : تقدم[1] بأن تضرب لى دراهم ، [زنة] كل درهم حبّتان[2] . قال : كم المقدار يا أمير المؤمنين؟ قال : خمسة آلف ألف درهم . فتقدم عبيد الله فى ضربها فضربت وعرفه الخبر فقال : اصبغ منها الحمرة والصفرة والسواد ، واترك بعضها على حاله . ثم تقدم إلى الخدم والحاشية — وكانوا سبعمائة — بأن[3] يعد كل واحد منهم قباء[4] جديداً وقلنسوة على خلاف لون الآخر وقلنسوته ففعلوا . ثم عمد إلى يوم تحركت فيه الريح فنصبت له قبة لها أربعون باباً فاصطبح فيها ، والندماء حوله ، ولبس الخدم الكسوة التى أعدها ، وأمر بنثر الدراهم كما ينثر الورد ؛ فنثرت أولاً أولاً ؛ فكانت الريح تحمل الدراهم فتقف بين السماء والأرض كما يقف الورد[5] فكان [هذا اليوم] من أحسن أيام المتوكل وأظرفها[6] ، وكان البرج من أحسن أبنيته فجعل فيه صوراً عظاماً من الذهب والفضة ، وبركة عظيمة جعل فرشها — ظاهرها وباطنها — صفائح الفضة ، وجعل عليها شجرة ذهب فيها كل طائر يصوت ويصفر ، مكللة بالجوهر وسماها طوبى ؛ وعمل له سرير من الذهب كبير ، عليه صورتا سبعين عظيمين ودرج[7] عليها صور السباع والنسور وغير ذلك، على ما يوصف به سرير سليمان بن داود عليهما السلام؛ وجعل حيطان القصر من داخل وخارج ملبسة بالفسيفساء والرخام المذهب فبلغت النفقة على هذا القصر ألف ألف وسبعمائة ألف دينار. وجلس [المتوكل] فيه [يوماً] على السرير الذهب وعليه ثياب الوشى المنقشة[8] وأمر ألا يدخل عليه أحد إلا فى ثياب وشى منسوجة أو [ثياب] ديباج ظاهرة[1] ، وكان جلوسه فيه سنة تسع وثلاثين ومائتين . ثم دعا بالطعام وحضر الندماء وسائر المغنين والمُلهّين[2] وأكل الناس، ورام النوم فما تهيأ له، فقال له الفتح[3] يا مولاى ليس هذا يوم نوم، فجلس للشرب. فلما كان الليل رام النوم فما أمكنه ، فدعا بدهن بنفسج فجعل منه شىء على رأسه وتنشّقه فلم ينفعه ، فمكث ثلاثة[4] أيام بلياليها لم ينم ، ثم حُمّ حمى حادة فانتقل إلى الهارونى[5] فصر أخيه الواثق[6] فأقام به ستة أشهر عليلاً وأمر بهدم البرج وضرب تلك الحلى عيناً[7] (انتهى)

(دمشق) صبحى الدين الخيمى

استدراك :

١ — ذكرت فى العدد الماضى أن أول من نوه بكتاب الديارات هو السيد حبيب الزيات فى عدد خاص من مجلة المشرق أصدره فى تموز سنة ١٩٣٥ ، والصواب أن هذا العدد صدر فى تموز سنة ١٩٣٨

٢ — مر معك أن المتوكل قد بنى قصر « بركوارا » ومعنى ذلك بالفارسية « قصر الهناء » (المنجد)

(١) جاء فى الأساس : وتقدمت إليه بكذا . أمرته به

(٢) كان فى مكان « زنة » كلمة شوهت ولم يبق منها إلا ما يشبه الياء . فاما أن تكون الكلمة (فى) وإما أن تكون الكلمة التى قدرناها أو ما هو فى معناها

(٣) فى الأصل : أن . والصواب كما ذكرنا

(٤) فى الأصل قبا بدون همزة

(٥) كان المتوكل على الله مفتونا بالورد ، بلغ من فتنته به أنه كان يلبس فى زمن الورد الثياب الحمر ، ويأمر بالفرش الأحمر ، وكان الورد لا يرى إلا فى مجلسه . وكان يقول : أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا أولى بصاحبه (الأعلام)

(٦) فى الأصل وأظرفه وهو خطأ

(٧) معطوف على سرير ، ج درجة

(٨) فى الأصل للنقلة ، ومعناها المبالغ فى ترقيها ، ولعل الصواب ما ذكرنا .

(١) أى تجذب العين (القاموس واللسان)

(٢) فى الأصل الملهيين

(٣) الفتح بن خاقان أديب شاعر فصيح ، كان فى نهاية الفطنة والذكاء . فارسى الأصل من أبناء الملوك ، اتخذه المتوكل العباسى أخاً له واستوزره وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه . وكان يقدمه على جميع أهله وولده ، واجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن ، وله تصانيف كثيرة . مات سنة ٢٤٧ هو والمتوكل (الأعلام)

(٤) فى الأصل : ثلثة

(٥) الهارونى : قصر عظيم قرب سامراء وهو على دجلة ، بينه وبين سامراء ميل واحد ، وفوقه قصر الجص الذى بناه المعتصم للنزهة (ياقوت)

(٦) أبو جعفر هارون بن محمد المعتصم بالله ؛ ولد ببغداد وولى الخلافة بعد وفاة أبيه المعتصم سنة ٢٢٧ هـ ؛ ومات بعلة الاستسقاء فى سامرا . وكان كريماً حازما (الأعلام)

(٧) العين : الدنانير

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية :

السنة الأولى فى مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و٧٠ قرشا عن كل سنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فى مجلدين .

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشا فى الخارج عن كل مجلد